مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٣٠)

التضفير النصى للفظ فى علم البديع

إعداد
الباحث/ محمد أحمد حسين الصاوى
رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة فى البلاغة والنقد
نسم اللغة العربية - شعبة الدراسات الأدبية - كلية الآداب - جامعة المنوفية

تحت اشراف
أ.د / محمد شبايك
أستاذ البلاغة والنقد بالكلية

السنة ٢٧ العدد (١٠٦) يوليو ٢٠١٦م
http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التضفير النصي للفظ في علم البديع

إعداد الباحث /محمد أحمد حسين الصاوي

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراة) في البلاغة والنقد

جامعة المنوفية كلية الآداب بشبين الكوم قسم اللغة العربية شعبة الدراسات الأدبية

تحت اشراف

الأستاذ الدكتور / محمد شبايك

أستاذ البلاغة والنقد بالكلية

أولا : الاكتفاء

الاكتفاء نوعٌ من الاختصار، ولخصوص هيئته عُد من المحسنات البديعية اللفظية، وأفرد بالاسم أطلق عليه الزركشيُ فى البرهان " الحذف المقابلي "[1] ، وسماه ابن الأثير" الإضمار على شريطة التفسير ".[2] ولفظة " الاكتفاء " أشهر ما يُطلق عليه كمايطلق عليه أيضا الاحتباك.[3] يقول السيوطي: " وهو ألطفُ الأنواع وأبدعها، وقلّ من تنبه له، أو نبّه عليه من أهل فن البلاغة. "[4] وبرهانُ الدين البقاعي كانت له " عنايةٌ بالغة بتأويل هذا الأسلوب، ولو أنا جمعنا مقالاته فى تفسيره لكان لنا من ذلك سفرًا يكون لنا عوضًا عن كتابه الذى صنفه، وألفه فيه وسماه: " الإدراك لفن الاحتباك."[5]

---

(1) البرهان فى علوم القرآن ١٢٩/٣

(2) ينظر: المثل السائر ٢٢٥/٢

(3) الإتقان ١٨٢/٣، شرح عقود الجمان ١٤١/٢/١، ونظم الدرر ٣١/٢، ٣٢

(4) الإتقان ١٨٢/٣

(5) الإمام البقاعى جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم د. محمود توفيق محمد سعد ص٢٦١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاحتباكُ لغة:

يقول أحمد بن فارس: " الحاء، والباء، والكاف أصل منقاسٌ مطرد، وهو: إحكام الشئ فى امتداد، واطراد. يُقال: بعيرٌ محبوك القرى أى: قوية "[٦] فالمادة تدور حول: "الشد، والإحكام، وإجادة العمل، والنسج، وتحسين أثر الصنعة فى الثوب ... ، وكل شيئ أحكمته، وأحسنت عمله فقد احتبكته."[٧] فكل شيئ أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته، والمحبوك: ما أجيد عمله، والحبك: الشد والإحكام، واحتبك بإزاره: احتبى به وشده إلى يديه. وحبك السماء: طرائقها وفى التنزيل قوله تعالى: (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ)[٨] يعني طرائق النجوم، وروي عن ابن عباس أنّ المقصود: الخلق الحسن. قال مجاهد: المتقنة البنيان.[٩]

وواحد الحبك حباك وحبيكة، وقال الجوهري: جمع الحبيكة: حبائك، وفى حديث عمرو بن مرة يمدح النبي – ﷺ –

لأصبحتَ خيرَ النّاس نفسًا ووالدًا. . . رسول مليك الناس فوق الحبائك

الحبائك: الطرق يعني بها السماوات؛ لأن فيها طرق النجوم.[١٠]

الاحتباكُ والاكتفاء اصطلاحًا:

يقول الجرجاني فى التعريفات: " هو أن يجتمع فى الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه. "[١١] ويعرفه الزركشي بقوله:" هو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه،

---

(٦) مقاييس اللغة ١٣٠/٢
(٧) تاج العروس ١٠٣/٢٧
(٨) سورة الذاريات آية رقم: ٧
(٩) تفسير أبو السعود جـ ٦ صـ ١٣٤
(١٠) اللسان مادة (ح ب ك)
(١١) التعريفات ص٧، وانظر: البرهان ١٢٩/٣، المثل السائر ٢٢٥/٢، الإتقان ٨٢/٣، وشرح عقود الجمان ١٤١/٢/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"[١٢] وقال ابن أبي الإصبع (ت ٦٥٤ هـ) في معرض تعريفه لهذا الأسلوب: " حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه، أو للاستغناء بالقرينة. "[١٣] ويعرفه البقاعي بقوله: " أن يُؤتى بكلامين يُحذف من كل منهما شئ إيجازًا، يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر، وبعبارة أخرى: هو أن يُحذف من كل جملة شئ إيجازًا ويذكر فى الجملة الأخرى ما يدل عليه"[١٤] وتعريف البقاعي أولى؛ لأنه لم ينص على التضاد بين ما ذكر، وما حذف " نعم إن أكثر هذا الأسلوب يكون فى التقابل، والتضاد، ولكن ليس بلازم أن يكون كذلك؛ فقد يكون المحذوف نظير المذكور... ، كما فى قوله تعالى: ﴿...لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ...﴾[١٥]، والتقدير: لا تقنطوا من رحمة الله، ومغفرته إن الله يغفر الذنوب جميعًا، ويرحم إنه هو الغفور الرحيم"[١٦]، وفي سر التسمية، قال السيوطيُ: " ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج وشده وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق وبيان أخذه منه: أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيط فلما أدركهما الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحبكه فوضع المحذوف مواضعه كان حابكا له مانعا من خلل بطريقه فسد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق. "[١٧]

مكان الاكتفاء و الاحتباك من الدرس البلاغي:

الزركشيُ يجعله من علم المعاني؛ إذ ذكَر هذا اللونَ من الحذف تحت عنوان أساليب (**القرآن وفنونه البلاغية**). أما السجلماسي صاحب المنزع البديعى، فالألوان

---

(١٢) البرهان فى علوم القرآن ج ٣ ص ١٢٩
(١٣) تحرير التحبير ص ٤٦٢
(١٤) نظم الدرر ٣١/٢، ٣٢
(١٥) سورة الزمر آية رقم: ٥٣
(١٦) من أسرار الاحتباك فى القرآن الكريم للأستاذ الدكتور / شاكر الصباغ ص ٥
(١٧) الإتقان ج ٢ ص ٦٢، وانظر: شرح عقود الجمان ص ١٣٣ ومعترك الأقران ج١ ص ٣٢٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البلاغية كلها بديع عنده، أما السيوطى فيذكره مرة فى باب الإيجاز، وهو أحد مباحث علم المعاني ويذكره مرة فى ألوان البديع ويذكر أنه من زياداته، ولا يقصد السيوطى أنّ الفن نفسه من زياداته، بل يقصد أنه من زياداته فى فنون البديع.(١٨) والحق أننا لا نستطيع أن نجعله من علم المعاني بحجة أن فيه حذفًا؛ لأن الحذف الوارد فى باب الإيجاز الحذف عند البلاغيين حذف صناعي. والتقدير فيه تقدير إعراب، لا تقدير معنى، أما الحذف هنا فهو حذف معنى لا حذف إعراب؛ لذا ليس بوسعنا إلا أن نجعله من البديع؛ لأن له تميزًا خاصًا به.(١٩)

ومما لاشك فيه، أن اللغة لا تعمل منعزلة، بل تعمل باعتبارها نصا في سياقات فعلية لاستخدام. وهناك دائما ما يرشد السامع في تفسير الجملة أكثر مما تقدمه الجملة نفسها (٢٠). ففي بعض السياقات يمكن حذف كلمة أو عبارة بدل من تكرارها، فترد البنية بتمامها قبل ورود البنية المضمرة، هذه الوسيلة تسمى الحذف (٢١). كما في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ والتقدير: رسوله بريء من المشركين (٢٢). فيظهر الحذف عندما تشتمل عملية فهم النص على إمكانية إدراك الانقطاع علي مستوى سطح النص، حيث نفترض عنصرا سابقا يعد مصدرا للمعلومة المفقودة، فيترك العنصر المحذوف فجوة (gap) علي مستوى البنية التركيبية، يمكن ملؤها من مكان آخر في النص (٢٣). وهنا يأتي دور التفاعل بين الإدراك Cognition والأعراف التركيبية للغة syntactic conventions في فهم المحذوف(٢٤).

---

(١٨) الاحتباك فى الذكر الحكيم ص ١٦

(١٩) شروح التلخيص ٣ / ١٩٠، والتبيان للطيبى ص ١٤٨ وما بعدها

(20)(Halliday & Ruqaaiya Hasan : Cohesion in English . p .142.

21 (Raphael salkie : text and discourse analysis ,p.56

٢٢)إلهام ابو غزالة وعلى خليل حمد : مدخل إلى علم لغة النص ، ص ١٠١

23(Halliday & Ruqaaiya Hasan : Cohesion in English . p .143

24(Robert de Beaugrande & Dressler to text linguistics ,p .66 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن الحذف علاقة مرجعية لما سبق (anaphoric) فى الغالب، وقد تكون مرجعية الحذف خارجية (exophoric) وذلك فى سياقات معينة حيث يقدم لنا سياق الموقف المعلومات التي نحتاج إليها في تفسير الحذف، ولكن الحذف الخارجي يخرج عن التماسك النصي الداخلي[٢٥] إلى تماسك النص مع السياق .

الدليل على المحذوف، وموضوع الحذف (شروط الحذف):

لم يلجأ المتكلم إلى الحذف ليحقق خللا ما في النص، بل على العكس، إذ إن للحذف جماليات وأغراض كثيرة ٠ونظرا لكون هذه الظاهرة ليست مرتبطة بلغة دون أخرى، فقد التقى رأي علماء العربية مع غيرهم من علماء اللغة حول وضع شرط للحذف علي درجة كبيرة من الأهمية، ألا وهو ضرورة وجود دليل علي المحذوف[٢٦] يتمثل في قرينة أو قرائن مصاحبة حالية أو عقلية أو لفظية. فالقرينة الدالة تعد أهم شروط الحذف، يليها في الأهمية ألا يؤدي الحذف إلى لبس في المعنى.

وقد اتفق النحاة العرب مع الغربيين في موضوع الحذف. فيذهب ابن هشام إلى أنه (إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولا أو ثانيا فكونه ثانيا أولى). ويذهب هاليداي ورقية حسن إلى أن الحذف يكون من اليمين (في الانجليزية)ويتحرك غالبا ليكون في الكلمة الأخيرة[٢٧]

مما لاشك فيه إن أهمية وجود الدليل علي المحذوف مقاليا أو مقاميا تكمن في كونه يحقق المرجعية بين المذكور والمحذوف في أكثر من جملة. وكذلك قد يحقق التكرار باللفظ والمعنى، وقد يكون بالمعنى دون اللفظ، لكن تظل استمرارية النص قائمة مما يسهم في تماسك النص. وبهذا فإن التماسك في تراكيب الحذف يكون على محورين أساسيين:

[25] Ibid., p . 144.

(٢٦)صبحى إبراهيم الفقى : علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق . ج٢ ، ص ٢٠٧ .
(٢٧)المرجع السابق ذكره . ج٢، ص ١٩٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأول: المرجعية الثاني: التكرار[٢٨]

فيصبح أثر الحذف هو توسيع (مد)السيطرة الدلالية أو النصية لجملة ما إلى جملة تالية[٢٩]. ولا يقل الحذف أهمية عن غيره من الوسائل في تحقيق تماسك النص لأن المحذوف يعامل من ناحية الدلالة معاملة المذكور.[٣٠]

كما عرضت كتب النحو والبلاغة وعلوم القرآن لظاهرة الحذف من منظورين متكاملين:

الأول: تركيبي وهو بيان مواضع الحذف في اللغة ونوع المحذوف، وتقديره.

الثاني: دلالي وهو أغراض الحذف.

بذلك فقد قدم لنا الدرس اللغوي والبلاغي في اللغة العربية ما يشبه النظرية في دراسة ظاهرة الحذف، على مستوى التصنيف لنوع المحذوف، وعلى مستوى أغراض الحذف التي تعد جزءا لا يتجزأ من عملية فهم النص وتفسيره، بل هي جزء من عملية تفاعل النص مع طرفي الإنتاج والتلقي (المنتج ـ المتلقي)، مما يجعل لها دورا هاما في الكشف عن تماسك النص وخصوصيته. لهذا يمكن أن نعيد التفكير فيما قدم عن ظاهرة الحذف في اللغة العربية في ضوء لسانيات النص من ثلاث زوايا:

١- قصد المتكلم: ويندرج تحته أغراض الحذف القائمة على مفهوم القصدية من قبيل " القطع والاستئناف، والمقابلة بين المعاني والتعظيم، والاهتمام، والتحقير، والإبهام، والقصر، والتعميم، والإجمال أو صيانة المحذوف عن الذكر تشريفا له أو الجهل به أو الخوف منه أو عليه أو الباعث الشعوري ..الخ. "[٣١]

([٢٨])المرجع السابق ذكره . ج٢، ص ٢٠٨

([٢٩]) (Stephen & lester : coherence , cohesion and writing quality , p 191

([٣٠])صبحى إبراهيم الفقى : علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق . ج٢ ، ص ٢٤٦

([٣١])انظر: عبد القاهر الجرجانى : دلائل الاعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ص ٣٨٠ ، ومحمد موسى : خصائص التراكيب ، ص٢٧٢ ـ ٢٨٧ ، وطاهر حمودة : ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى ، ص ص ٩٥ ـ ٩٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- الأعراف التركيبية للغة: يذكر لنا عبد القاهر الجرجاني أن "الحذف قد يكون راجعا إلى الكلام نفسه لا إلى غرض المتكلم وذلك مثل أن يكون المحذوف أحد جزئي الجملة[٣٢]. ولا شك أن الحذف الواجب في اللغة العربية يخضع لأعراف اللغة.

وقد يرجع الحذف إلى طول الكلام تخففا من الثقل جنوحا إلى الإيجاز في مواضع تستطيل فيها التراكيب كجملة الصلة وأسلوب الشرط وأسلوب القسم وفي سياق العطف. ومثل حذف الأفعال الدالة علي القول "قلت/قالوا/قيل...الخ"لأن المقول عادة جملة طويلة أو عدة جمل وذكره يغني عن لفظ فعل القول[٣٣].

كذلك فقد يرجع الحذف إلى الضرورة الشعرية للمحافظة علي الوزن أو القافية وقد يقع للمحافظة علي السجع في النثر أو لرعاية الفاصلة كما في قوله تعالى: ﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ﴾[٣٤].

٣- دور المتلقي: يتمثل دور المتلقي في العمليات الذهنية التي يقوم بها الناتجة عن الحذف، فتعمل علي بعث الخيال وتنشيط الإيحاء. فيرتبط تعدد دلالات النص بتعدد المتلقين وثقافتهم ومعرفتهم بأعراف اللغة وتنوع القدرة علي الاحتفاظ بالعنصر/العناصر المحذوفة في الذاكرة لحين الانتهاء من القراءة مما ينتج عنه استمرارية في التلقي، وفي الربط المفهومي؛ بتعليق الكلام اللاحق علي السابق. ولأهمية هذه القضية لم يغفل العلماء موقف المتلقي والتأكيد علي أهمية (علم المخاطب)فقد يقع الحذف لعلم المخاطب به[٣٥]. ومن ثم فالقاريء يسهم في إكمال النص، وفي ملء فراغاته، لذا أصبحت عملية القراءة "إعادة بناء للنص طبقا لتصور القاريء".[٣٦]

---

(٣٢)عبد القاهر الجرجانى : أسرار البلاغة فى علم البيان ، تحقيق السيد محمد رشيد رضا ص ص ٣٧٩ – ٣٨٠

(٣٣)طاهر سليمان حموده : ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى ، ص ٣٩ / ٤٢ .

(٣٤)طاهر سليمان حموده : ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى ، ص ص ٤٣ / ٩٩

(٣٥)المرجع السابق ، ص ١٣٠

(٣٦)صبحى إبراهيم الفقى : علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق . ج٢ ، ص ٢١٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وخلاصة القول: أن الإيجاز بالحذف لا يدخل فيه هذا اللون، وإنما الذى يدخل فيه هو الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه، وهوما اقتضته الصناعة.(٣٧)

بلاغة الاحتباك والاكتفاء:

الاحتباك والاكتفاء هو نمطٌ عجيبٌ من الأساليب، ورصفٌ غريب فأنت فيه مطالَبٌ باستكشاف أمور الذكر، وأسرار الحذف، ولا يمكنك إهمال واحد منها، وأنت بإزاء أربعة أطراف فى الكلام لكل طرف منها مراميه وإيحاءاته. قال عنه السجلماسي:"وهذا النوع بالجملة هو من القول الجميل ذي الطلاوة والبهجة، والماء، والعذوبة، والجزل المقطع الغريب المنزع اللذيذ المسموع، لما بين أجزائه من الارتباط، لما للنفس الناطقة من الالتذاذ بإدراك النسب والوصل بين الأشياء، ثم لإبراز ما في القوة من ذلك إلى الفعل وبالشعور به، فلذلك توفر عليه من المزية ما تراه يباين به سائر المنظوم. "(٣٨)، والأسرار التي ذكرها العلماء فى الحذف بعامة كائنة فى شواهده غير أنّ لكل شاهد مزية تختص به، وإيحاء يتلمس فيه لا يكون فى سواه، لأن الحذف والذكر فيه على التقابل ولأن التقدير فيه تقدير معنى لا تقدير إعراب، ومعلوم أنّ الإعراب فرع عن المعنى.(٣٩)

ولنتأمل قول ابن جني: " ألا ترى إلى فرق ما بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى، فإذا مرَّ بك شئٌ من هذا عن أصحابنا فاحفظ نفسك فيه، ولا تسترسل إليه، فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمة تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفًا لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت طريق تقدير الإعراب. "(٤٠)

(٣٧) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ت / محمد محيي الدين عبد الحميد ج ٢ ص ٦٤٩ وما بعدها، ط بيروت ١٤٠٧

(٣٨) منزع البديع للسجلماسى ص ١٩٥

(٣٩) الاحتباك في الذكر الحكيم ص ٢٠

(٤٠) الخصائص لابن جني ١ / ٢٨٤، ٢٨٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا الفن عزيز في كلام البشر أما في القرآن الكريم فهو كثير كثرة لافتة وهو لونٌ من ألوان الحذف، والحذف " بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن. "(٤١)

كما يعد الحذف من سنن العرب في كلامها، تركبه لتتسع في معانيها، وتظهر قوة لغتها وسعتها، إلا أن ركوبه لا يتم بإسقاط جزء من الكلام والاستغناء عنه كيف اتفق ذلك بل ينضبط بناؤه واشتغاله لشرط أساسي هو ورود دليل في المثبت من الكلام يؤشر على المحذوف. فـ " لابد عند وقوع الحذف من دليل يدل على المحذوف يتمثل في قرينة أو قرائن مصاحبة حالية أو عقلية أو لفظية "(٤٢)، وهذا موقع التناسب من أسلوب الحذف.

إنّ الحذف من هذا المنظور مبدأ جمالي كبير يستثمر من وجهة النظر التي تشغلني من أسباب التعلق بين المعطيات القولية فهذا تصور أخذ به القدماء من اللغويين والبلاغيين، وتمثله فى معالجتهم وجعله شرطا لصحةِ الحذف وجودته.

وقد جعل بعض المتأخرين قول الشاعر الحارث بن حلزة اليشكري:

والعيش خير في ظلا. . . ل النوك ممن عاش كدّا

ذلك أن الأصل المراد: العيش (الناعم) في ظلال النوك خير من العيش الشاق (في ظلال العقل). فأنت تراه قد حذف قوله: " الناعم " أولًا لدلالة قوله: " مما عاش كدا " آخرًا، وحذف آخر قوله: " في ظلال العقل " لدلالة قوله: " في ظلال النوك " أولًا. فتحقق بذلك حذف شيء أولًا لدلالة الثاني عليه وحذف شيء آخرًا لدلالة شيء مذكور أولًا. ولا يخفى أن هذا البيت عده الجمهور من قبيل الإخلال الواقع في الحذف حيث ترك من الكلام ما يخل بالمعنى، وذلك عيب من عيوب الحذف، ولكن

(٤١) دلائل الإعجاز ص ١٤٦
(٤٢) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي د / طاهر سليمان حمودة ص ١٠٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهل العلم جعلوه من البديع لا من المعاني. وذهبوا إلى أنه لا لإخلال فيه بأصل المراد عن طريق الكناية. وبيانه: أنه اشتهر في العرف أن العيش المعتد بهَ أعني العيش الناعمَ إنما هو عيش الجهلة الحمقى دون العقلاء المتأملين في عواقب الأمور، فجعل الشاعر مطلق العيش في ظلال النوك كناية عن العيش الناعم، وجعل العيش الشاق كناية عن عيش العقلاء المتحرين مسالك الهدى في حياتهم. وأشار الشاعر بألطف وجه إلى أن العيش في ظلال الجهل والحماقة لا يكون إلا ناعمًا، وأن العيش الشاق لا يكون إلا عيش العاقل، حتى أنه لو ذكر الناعم وذكر: "في ظلال العقل" لكان ذلك كالتكرار لما أشار إليه من قبل، أو كان كالتصريح بما غلم تلويحًا. فهذا البيت مشتمل على أسلوب كناية، وعلى احتباك، وعلى مقابلة، وذلك بملاحظة استحضار ما هو محذوف بشهادة ما هو مذكور. والاحتباك له في البيان القرآني منزلة عالية وهو لا يأتي لمجرد التوقيع الدلالي الذي يمتع الذوق، بل يقوم بتهذيب الأمة وتزكيتها وإرشادها إلى التي هي أقوم. يقول الحق - ﷻ : ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾[٤٣] ألا تراه يذكر القتل أولًا ليدل على السلامة ثانيًا، ويذكر الغالبية آخرًا ليدل على المغلوبية ثانيًا. ذلك أنه ذكر في جانب القتل ما كان إسناده إلى المسلم على جهة المفعولية التي هي عين الشهادة، وذكر في جانب ما كان إسناده إلى المسلم الغلبة على جهة الفاعلية وهو عين النصر. وسكت عن القتل باعتباره واقعًا من المسلم وعن ذكر المغلوبية (الهزيمة) باعتبارها واقعة على المسلم. وفي هذا المذكور والمحذوف تبيان لجوهر فلسفة الجهاد في الإسلام، أنه طلب الشهادة أو النصر ولا ثالث لهما أبدًا. إن كل هم المسلم التلقي من الشهادة أو الانتصار للحق. الشهادة دل عليها قوله: "يُقتل" بالبناء للمفعول، والانتصار دل عليه بقول: "يَغلِب" بالبناء للفاعل، وقدم ما دل على الشهادة إيذانًا بأنها أحب إلى قلب المسلم، وأنها تتحقق أيضًا مع تحقق الأخرى غالبًا، وأن من سعى إليها ورهب للحق غلبًا وانتصارًا، بهذا الخصوص البالغ على الشهادة أو

(٤٣) سورة النساء آية رقم: ٨٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انتصارًا للحق. يكون الثابت عند احتدام القتال مهما كان العدو ذا عدد وعدة لأن المسلم لا يريد إلا إحدى الحسنين، ولا يرضى لهما ثالثًا، كل ذلك تبدى في أسلوب احتباك أقيم على تضفير المعنى وجدله حيث جعل المحذوف تحت وشاح المذكور في كل من الجانبين. وفي هذا الاحتباك والتضفير إشارة إلى أن القرآن يؤذن بأن الأجر الأوفى إنما يكون لمن انتصر، وأن يقتل من أعدائه كثيرًا، لأنه ليس الهدف إراقة دماء الأعداء، وكذلك الأجر لمن استشهد وإن لم ينتصر متى أدى ما عليه مخلصًا، وإيذانًا بأن ما يناله المجاهد المغلوب، وإن قتل الكثير والكثير، إنما هو أقل مما يناله المنتصر أو الشهيد، وإن كان ما قتله قليلًا. وفي هذا تهذيب للأمة، وإلهاب لقوم لا يرضون بغير الجنة مستقرًا، وفيه كشف بالغ لمن ألقى السمع وهو شهيد، عن حكمة الإسلام من الجهاد أنه ليس دين إراقة دماء وإنما هو دين انتصار للحق. ومن هذا القبيل قول الحق - ﷻ - : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٤٤] جمهرة المفسرين أقام أغلبهم تفسيره الآية على أساس ما فيها من التفات في قوله سبحانه: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ غير أنه يمكن أنه يتجه متجهًا آخر في تأويلها، سلكه البقاعي حيث يقول – رحمه الله –: " لما أفهم من السياق أنه قال فإني أتبعتهم (أي: المرسلين) بنى عليه قوله جوابًا لمن يلومه على ذلك وترغيبًا فيما اختاره لنفسه وتوبيخًا لمن يأباه ﴿ وَمَا لِيَ ﴾ أي: وأي شيء لي في أني لا أعبد الذي فطرني أي أرجع فله مبدأي ومعادي وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ﴿ وَإِلَيْهِ ﴾ أي لا إلى غيره ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾. كذلك فهو يستحق العبادة شكرًا لما أنعم به في الابتداء وخوفًا من عقابه في الانتهاء، فالآية من الاحتباك: حذف (إليه أرجع) أولًا لما دل عليه ثانيًا، وحذف (إنكاره عليهم) ثانيًا بما دل عليه أولًا بالإنكار على نفسه استجلابًا لهم بإظهار الإنصاف والبعد عن التصريح بالخلاف وفيه تنبيه لهم على موجب الشكر وتهديدا على ارتكاب الكفر. "فقد أقام البقاعي تحليله على أساس قوله ﴿ وَمَا

(٤٤) سورة يس آية رقم: ٢٠: ٢٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لِي لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي ﴾ استئناف بياني نشأ عن سؤال إنكاري وهو في هذا مسبوق فقد روي مثله عن ابن عباس، وعن ابن الجوزي، وعليه لا يكون قد أقام ﴿ وَمَا لِي ﴾ مقام "وما لكم" كما هو عند جار الله الزمخشري وغيره. ومما يقول القول باستئناف هذا الاستفهام الإنكاري الذي أردف به قوله هذا، وهو: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ فإذا كانوا قد أنكروا عليه الهدى فقد أنكروا عليهم الضلال أجاب عن سؤالهم أولًا بأن أنكر على نفسه أن يكون ثم مانع من عبادته فاطره، وطوى إنكاره عليهم أن يكون ثمة مانع لهم من عبادة فاطرهم وذلك أدعى لاستجلابهم إلى طريق الهدى. والبقاعي حين أقام فهمه لبيان هذه الآية على أنه أقيم على أسلوب الاحتباك أدرك أن هذا النهج هو الذي يبرز العناصر التي توحي بالاستجلاب لهم بإظهار الإنصاف والبعد عن التصريح بالخلاف، حيث صرح في الآية بإنكاره على نفسه وحذف إنكاره عليهم على الرغم من أن إنكاره عليهم هو المقصود الرئيسي. كما أنه صرح في الآية بذكر رجوعهم إلى الله لأن ذكر رجوعهم أقوى في التنبيه على الضلال وأبلغ في الدعوة إلى الهدى الذي أوجده السياق لكل منهما وقوي عدم ذكر رجوعه إليه سبحانه وتعالى أن من آمن برجوع غيره كان أكثر إيمانا برجوعه هو، ذكر ذلك العطاء المتنامي المتجاوب مع السياق والقصد لا ينبثق من الآية حين تقيم الفهم بيانها نهج الالتفات. ذلك أن الالتفات قائم على شجاعة العربية في الانتقال من جانب إلي آخر مع ما بينهما من تغاير يعتمد علي وعي المتلقي في إدراك الوشيجة والثمرة غير أن كلا من الجانبين موجود لم يغب عن ناظريك. أما الاحتباك فإنه قائم علي نهج تضفير المعنى وجدل عناصره مما يستوجب غياب عنصر تحت وشاح عنصر آخر مناظر له على أن غياب هذا العنصر تحت وشاح غيره إنما هو لإبراز عطاء ما تبدى ولذلك كانت صعوبة تدبر الاحتباك القرآني ليست في إدراك ما غاب وما تجلى من العناصر وإنما في تدبر سر ذكر ما ذكر وغياب من غاب. ومن مثل هذا القبيل البادي في صورة تنسيبه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾[45]

هذا التمثيل القرآني يكتنفه سياق حال أهل الشرك وكيف أن منهم من يتخذ من دون الله آلهة يحبونهم كحب الله واتبعوا الشيطان في تحريم ما أحل الله لهم... فإن كانوا قد اتبعوا داعي الشيطان فيما حرموا علي أنفسهم وفيما عبدوا من الأصنام فإنهم قد اعرضوا عن داعي الحق، فجاء هذا التمثيل ليصور حالهم في صورة حسية مشاهدة منتزعة عناصرها من بيئتهم. وقد أقيم هذا التمثيل على نهج الاكتفاء حيث كان أصل المعنى ومثل الذين كفروا فيما يوعظون به (كالبهائم التي لا تفقه ما يقوله الراعي لها أكثر من الصوت). (ومثل واعظ الذين كفروا) كمثل الذي لا ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً و نداءً فلدينا صورتان من صور التشبيه حذف من الأولى المشبه به وذكر المشبه، وحذف من الثانية المشبه وذكر المشبه به، ثم قرن المذكور من التشبيهين فبدا في صورة تشبيه واحد. هكذا تراه قد حذف من الأول مثل الداعي لدلالة الناعق عليه وحذف المنعوق به لدلالة الناعقين عليه. هذا التضفير لعناصر التمثيل أعان على تدبره؛ إنه تمثيل مكون من عدة عناصر متقابلة تنسيق ثانيه على أوله وثالثه على ثانيه في كل جانب بحيث تتقابل الأجزاء والعناصر في الجانبين. ثم يأتي الاحتباك ليقوم بتضفير وجدل هذه العناصر فيطوي بعضها تحتَ وشاح بعض، على أن العقل لا يلتبس عليه إبصار ما انطوى ذلك أن التلاقي بين المذكورين في الآية لا يكون ذا جلاء مما يتطلب تأملًا فيهدي التأمل إلى ما أقيمت عليه الآية من تضفير وجدل واحتباك. ومن صور الاحتباك قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[46] ولا يخفى أن لدينا هنا تشبيهين: تشبيه للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالمفسدين، وتشبيه المتقين بالفجار. وكلا التشبيهين في حيز الاستفهام الإنكاري التكذيبي والتوبيخي والتجهيلي. ولا يخفى أن كلًا من المشبه في الصورتين ليس من مقامه ودرجته. كل في مجاله ودقة التشبيه تقتضي لإنكار تشبيه الذين كفروا بالذين أفسدوا وإنكار تشبيه المؤمنين بالمفسدين

(45) سورة البقرة آية رقم: ١٧٠، ١٧١
(46) سورة ص آية رقم: ٢٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك إنكار جعل الذين اتقوا كالذين فجروا وجعلوا المتقين كالفجار. وهذا قائم على أساس التفريق بين التعريف بالموصل والتعريف بالصفة. التعريف بالموصول أن يكن فيه دلالة على الإشهار بالصلة فإنه يكون لا يشير إلى الاكتمال فيها وفرق بين أن تشتهر بالشيء وأن تكتمل فيه أو تكتمل فيها. فالذين آمنوا يشير هذا الترتيب إلى أن هذا الفعل ﴿ آمَنُوا ﴾ هم مشتهرون به ولكن لا دلالة فيه على اكتمال هذا الإيمان ورسوخهم فيه. والتعريف بالصفة يعطي دلالة أن الإيمان قد غدا صفة ملازمة لهم وجزءً من تكوينهم لا ينفصلون عليه ولذا كان المؤمنون أعلى مقامًا من الذين آمنوا ولذا كان حديث القرآن الكريم عنهم ولهم يغاير حديثهم عن الذين آمنوا وحديثه لهم أمرًا ونهيًا. المهم أن التعريف بالموصول لا يقابل التعريف بالصفة ولا يقايسه والتشبيه قياس كما يقول الإمام عبد القاهر فكان من عدل القياس الذي هو عدل التشبيه أن نقدر عناصر يبرز بها التقابل والتظاهر بين أطراف التشبيه فتصير الآية على هذا النحو: أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات (كالذين أفسدوا) (أم نجعل المؤمنين الصالحين في الأرض) كالمفسدين في الأرض. وكذلك الحال في التشبيه الأخير نقدره كالآتي: (أم نجعل الذين اتقوا كالذين فجروا) (أم نجعل المتقين كالفجار). فلدينا في صدر الآية تشبيهان وفي آخرها تشبيهان. ذكر في الأول من المصدر المشبه "الذين آمنوا" وحذف المشبه به "الذين أفسدوا". وفي هذا الثاني من الصدر ذكر المشبه به (المفسدين) وحذف المشبه (المؤمنين) هذا الاحتباك في صدر الآية أفهم احتباكًا في آخرها، غير أن الاحتباك في الآخر كان بحذف التشبيه الأول من الأخر لدلالة الثاني عليه في ضوء ما في الصدر. ونجد الاحتباك في هذه الآية بما فيها من أسرار يدل على شرف الإيمان في ذاته وأنه سبب السعادة وإن كان تحقيقه على أدنى وجوه التحقيق. وذكر في أحوال التقوى أعلاها منزلة إيذانًا بأنه لا يوصف بها، ولا يستحق فضلها الراسخ فيها ترغيبًا للذين آمنوا في الارتقاء إلى درجها العالي. وذكر في جانب الفساد أعلى درجاته إشارة إلى أن ما دون ذلك يغفره الله لمن شاء، فالذكر والحذف إيماء إلى فضل رحمته وكأنه يشير بذكر الأدنى من الحسنات إلى أنها وإن كانت كذلك فإنها لا تنسى ولا تهمل بل تذكر وتحمد وتشكر في الآخرة ويشير بحذف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما دون القمة في الإسناد إلى أنه قد يحذف عقابه في الآخرة كما حذف ذكره في الكتاب الذي أقيمت عليه سعادة الآخرة. وهذا ضرب من المشاكلة بديع رفيع. وإذا كان ظاهر الآية يعطي أنه ينكر مساواة أدنى درجات الإيمان بأعلى درجات الفساد، وليس الأمر كذلك في الحقيقة إذا ما كان هذا قد يفهم من ظاهر الآية؛ فإن فهمها على نهج الاحتباك يعصم من هذا الفهم الظالم. ومن صوره ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾[٤٧] قال البقاعيُ: " الآيةُ صالحةٌ للاحتباك: ذِكر أنبت أولًا دالٌ على حذف مصدره ثانيًا وذكر النبات ثانيًا دال على حذف فعله أولًا؛ ليكون التقدير: أنبتكم إنباتًا فنبتم نباتًا "[٤٨] ووقوع الفعل في الطرف الأول، ووقوع مصدر من غير الفعل نفسه في الطرف الثاني هو الذى أرشد البقاعي إلى الاحتباك. وقد صرّح أبو السعود أيضًا بالحذف والتقدير حيث قال: " ويجوز أن يكون الأصل " أنبتكم من الأرض إنباتًا فنبتم نباتًا " فيحذف من الجملة الأولى المصدر، ومن الثانية الفعل اكتفاءً في كل منهما بما ذكر في الأخرى. "[٤٩] والآية متظاهرة على إظهار قدرة الله على البعث، وسهولة ذلك عليه، ولا أحس هنا فضيلة للحذف غير الإيجاز والاختصار، الذي يلائم إظهار قدرة الله وسهولة الخلق والبعث عليه، ولفت النظر نحو تدبر آياته في كونه من ظاهرة الإثبات المتكررة الواقعة أمام أعين الناس جميعًا، وكلما كان الاستدلال أوجز كان أسهل في التذكر، وسهولة التذكر مدعاة لتكرار التدبر والتدبر هو المعبر إلى الإيمان واليقين.[٥٠] ومنه ما جاء فى قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ٢٦﴾[٥١] والآية من الاحتباك: فقد ذكر ثابت أولًا دالٌ على صاعد الثانية،

---

(٤٧) سورة نوح الآية ١٧، ١٨

(٤٨) نظم الدرر ج ٨ ص ١٧٢

(٤٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود ج ٩ ص ٣٩ طبعة: دار إحياء التراث العربى

(٥٠) الاحتباك فى الذكر الحكيم مواقعه وأسراره د / إبراهيم صلاح الهدهد ص ٢٦

(٥١) سورة إبراهيم الآية ٢٤: ٢٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذكر السماء ثانيًا دال على الأرض أولًا "[٥٢]، وتقدير المعنى كشجرة طيبة أصلها ثابت في الأرض وفرعها عال صاعد في السماء. وقد تأول المفسرون المعنى بما يؤول بالآية إلى الاحتباك فقد ذكروا أنّ ﴿ ثَابِتٌ ﴾ ضارب بعروقه فى الأرض[٥٣]، وقالوا – أيضا –: ومثل هذه الشجرة إذا كان أصلها راسخًا في الأرض، وكان فرعها مرتفعًا يكون شأنها منافيًا لسرعة هلاكها، وانقطاع الابتهاج بها، فيعظم فرحه وسروره بسبب الفوز بها. ثم إن ارتفاع أعاليها وأغصانها يدل على كمال تلك الشجرة من وجهين:

الأول: ارتفاعُ الأغصان، وقوتها يدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق.

والثاني: أنها متى كانت متصاعدةً مرتفعةً كانت بعيدةً عن عفونات الأرض وقاذوراتها؛ فتكون ثمراتها حاضرة دائمًا فى جميع الأوقات، وتكون في غاية الشرف والكمال بحيث تعظم رغبة كل عاقل في تحصيل مثلها[٥٤] وقد ذكر ﴿ ثَابِتٌ ﴾ زيادة تشويق إلى كلمة الإيمان، وحذف (في الأرض) توفيرًا للعناية على ما هو أعلى، وفى الطرف الثاني ذكر ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾، وحذف (عال صاعد) ليظهر التجاور في الصورة بين الفرع والسماء، وينبغي بذلك ما بينهما من المسافات، وذلك كله يتآزر في الترغيب في كلمة الإيمان؛ لذا ترى صورة البناء تخيل لك الفرع متصلًا اتصالًا مباشرًا بالسماء لعلوه[٥٥] والإمام البقاعي يشير إلى أن هناك احتباكًا، وهناك شبه احتباك، فقد قال عند قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾[٥٦]، قال البقاعي: " الآية من الاحتباك، وهى شبيهه به دلت الشرطية فى ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ على الاستدراكية فى قوله: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ ﴾ على تقدير الشرطية دلالة ظاهرة

(٥٢) نظم الدرر ج ٤ ص ١٨٤
(٥٣) إرشاد العقل السليم ج ٥ ص ٤٣
(٥٤) حاشية الشيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى ج ٣ ص ١٣٤طبعة: دار احياء التراث العربى ط ١ بدون تاريخ
(٥٥) الاحتباك فى الذكر الحكيم ص ٦٠
(٥٦) الحجرات الآية: ٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٥٧) ولعل تقدير المعنى: واعلموا أنّ فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم وإن يطعكم تغووا ولكنّ الله حبّبَ إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، وكره إليكم الكفر، والفسوق، والعصيان أولئك هم الراشدون، ولعل السر في حذف الجملة الشرطية هو اللطف في لومهم، وعدم مجابهتهم بما يسوؤهم. ومن صوره قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾(٥٨) يلحظ المتأمل أنّ هذه الآية في عمقها على مبنى المتناسبة، وقد لحقها الحذف، وتقدير المحذوف فيها: " وأدخل يدك في جيبك تدخل، وأخرجها تخرج بيضاء من غير سوء". فنسبة الأمر الأول إلى جوابه كنسبة الأمر الثاني إلى جوابه، غير أنه حذف الوسطان واكتفى بالطرفين، والتي عليهما باللزوم. بيان ذلك أنه حذف الجواب فى النسبة الأولى، وهو التالي، ودل عليه فعل الأمر وهو المقدم دلالة اللزوم، إنّ العلاقة بين فعل الأمر وجوابه علاقته لزومية يعتبر بموجبها الجواب نتيجة مستلزمة عن مقدمة سابقة هي فعل الأمر. وفى النسبة الثانية حذف فعل الأمر وهو المقدم ودل عليه جوابه وهو التالي دالة لزوم أيضا ويمكن توضيح هذا على الشكل

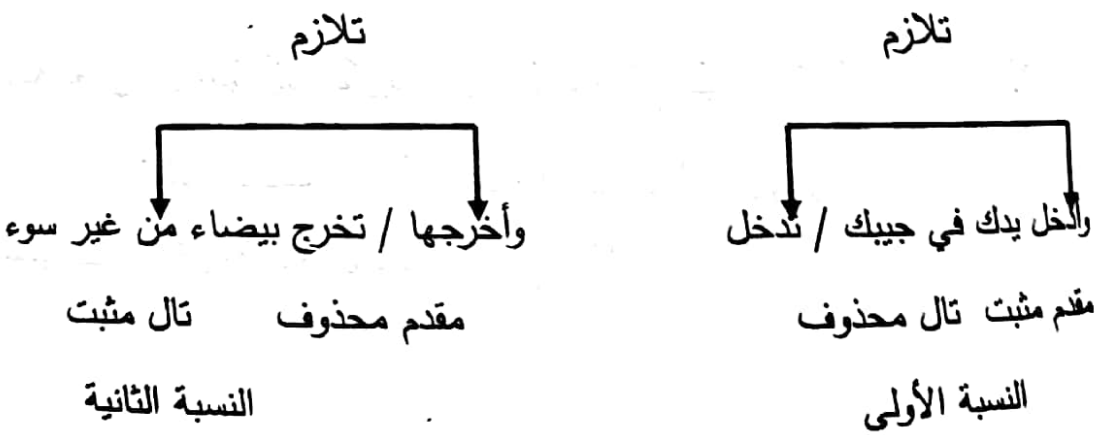

(٥٧) نظم الدرر ج ٧ ص ٢٢٩
(٥٨) سورة النمل آية رقم: ١٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾(٥٩)

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾(٦٠)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾(٦١)

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾(٦٢)

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(٦٣)

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾(٦٤)

وقوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾(٦٥)

---

(٥٩) سورة غافر آية رقم: ٦٤
(٦٠) سورة فصلت آية رقم: ١١، ١٢
(٦١) سورة الجاثية آية رقم: ٣، ٤
(٦٢) سورة نوح الآية ١٧، ١٨
(٦٣) سورة يونس آية رقم: ٦٧
(٦٤) سورة الفرقان آية رقم: ٤٧
(٦٥) سورة الروم آية رقم: ١٧، ١٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾(٦٦)

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾(٦٧)

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾(٦٨)

وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾(٦٩)

وقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾(٧٠)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾(٧١)

وقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(٧٢)

(٦٦) سورة الفتح آية رقم: ٢٦
(٦٧) سورة لقمان آية رقم: ٢٧
(٦٨) سورة الأنعام آية رقم ٧١، ٧٢
(٦٩) سورة البقرة آية رقم: ٢١٦
(٧٠) سورة البقرة آية رقم: ٢٦١
(٧١) سورة النحل آية رقم: ١٢٨
(٧٢) سورة النحل آية رقم: ٥٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقولـه تعـالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (٧٣)

وقوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ (٧٤)

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ (٧٥)

وقولـه تعـالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ (٧٦)

وقولـه تعـالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ (٧٧)

وقولـه تعـالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (٧٨)

---

(٧٣) سورة الأنعام آية رقم: ٣٣
(٧٤) سورة يوسف آية رقم: ٤١
(٧٥) سورة القصص آية رقم: ٧
(٧٦) سورة الأنعام آية رقم: ١٢٥
(٧٧) سورة البقرة آية رقم: ٢٠٤، ٢٠٥
(٧٨) سورة التوبة آية رقم: ٥٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٧٩)

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٨٠)

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾ (٨١)

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٨٢)

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (٨٣)

وقوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٨٤)

وقوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ (٨٥)

وقوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٨٦)

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٨٧)

---

(٧٩) سورة محمد آية رقم: ٢٤
(٨٠) سورة يونس آية رقم: ٣٥
(٨١) سورة الجن آية رقم: ٢١
(٨٢) سورة آل عمران آية رقم: ٣٠
(٨٣) سورة المائدة آية رقم: ٥٤
(٨٤) سورة الأعراف آية رقم: ٤
(٨٥) سورة هود آية رقم: ٤
(٨٦) سورة الروم آية رقم: ٤٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن نماذج الاحتباك في الشعر قول أبى صخر الهذلي:

وَإِنِّي لَتَغْرُونِي لِذِكْرِكِ هِزَّةٌ. . . كَمَا اِنْتَفَضَ السَّلْوَاةُ مِنْ بَلَلِ الْقَطْرِ(٨٨)

التضفير النصي للفظ في الاكتفاء:

على قاعدة المناسبة السياقية أيضا يأتي الاكتفاء، ولكنه قائم على الحذف لدلالة ما يناسبه في السياق عليه، فيحذف من الأول لدلالة ما في الآخر عليه أو العكس، وكأن المحذوف أنزل منزلة فضول الكلام ما دام في السياق ما يدل عليه، وكأن ما يدب على المحذوف في السياق قد عومل معاملة القرينة اللفظية، ولعل بهذا اختلف العلماء في موضع الاكتفاء هل في علم البديع كما هو، أم أن الأولى أن يوضع في علم المعاني، نظرا لقيامه على الحذف بقرينة لفظية من السياق. وأيا كان أمر "الاحتباك" فإن فيه من حبك الصياغة وتوثيق العلاقات الدلالية بين عناصر السياق ما استمد منه اسمه: الاحتباك. والاكتفاء من مقومات النصية التي ذكرها كل من "ديبوجراند" و"دريسلر"(٨٩) ففي قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ اكتفاء، وقد ذهب أبو حيان وآخرون إلى أنّ (تخرج بيضاء) جواب لأمر مقدر وليس للأمر المذكور أي: ادخل يدك، فيكون التقدير العام:

- ﴿أدخل يدك في جيبك﴾.

(تدخل) محذوف.

- (أخرجها) محذوف.

- ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾.

---

(٨٧) سورة لقمان آية رقم: ٢٢، ٢٣

(٨٨) يتيمة الدهر ص ٤ / ٢٨٥

(٨٩) د. إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد – . : مدخل إلى علم لغة النص ، ص ١٠١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فدل فعل الأمر المذكور ﴿أدخل﴾ على جوابه المحذوف: (تدخل) ودل جواب الأمر المذكور ﴿تخرج بيضاء ﴾على فعله المحذوف. (أخرجها). وربما ذهبنا إلى أن الأمر في هذه الآية يجوز فيه وجه آخر يضاف إلى وجه الاكتفاء، وهو دلالة الاقتضاء اللغوي. إن الاكتفاء يقوم على أساس بنية شكلية، ومن هنا نصيتها، فإمكان شكلنة الواقعة اللغوية تعني أنها نصية بامتياز. ويمكن تمثيل "الاكتفاء" رمزيا بافتراض متوالية مكونة من أربعة عناصر نرمز لها بالأرقام: ١ - ٢ - ٣ - ٤، نقسمها إلى ثنائيتين: -

أفقيا توجد علاقة تقابل: فردي - زوجي.

وعموديا توجد علاقة تشابه:

- فردي - فردي: (١ - ٣).

- زوجي - زوجي: (٢ - ٤).

ويحصل الاكتفاء بحذف عنصر من الفردي أو الزوجي ونبقي مقابله أو العكس، فتتحول الصيغة إلى: (. . - ٣) - (٢ -. .) لكننا بواسطة المذكورين نستحضر ذهنيا المحذوفين، إذ (٢) المذكورة تدل على مقابلها المحذوف (١) و(٣) المذكورة تشير إلى مقابلها المحذوف (٤). .

وحين يمكن تحويل الصيغة اللغوية إلى بنية شكلية تصبح نصية بامتياز.

ظاهرة الحذف ودورها في تحقيق التماسك النصي

الحذف ظاهرة شديدة الوضوح في كتب العربيّة، تناولها النحاة والبلاغيّون والمفسّرون، وعقد لها ابن جني باباً سمّاه " بابٌ في شجاعة العربيّة " قائلاً في مستهلّ حديثه: " اعلم أنّ معظم ذلك إنّما هو الحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف."(٩٠)

(٩٠) الخصائص: ٢/ ٣٦٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال عبد القاهر الجرجاني: " هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنّك ترى به تركَ الذكر أفصحَ من الذكر، والصمتَ عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ. "(٩١)

وهو لغةً كما ذكر الزركشي الإسقاط، ومنه: حذفتَ الشعر إذا أخذت منه، واصطلاحاً: إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل. (٩٢)

والنّحاة انطلقوا في ظاهرة الحذف من قاعدة أساسها أنّ التركيب اللغويّ لابدّ له من طرفين أساسيين همّا المسند والمسند إليه، فإذا استغنى المتكلّم عن أحدهما قُدّر محذوفاً لتتمّ به الفائدة أو الجملة.

فهي ظاهرة ترتبط كثيراً بالمستويات اللغويّة كالمستوى التركيبي والمستوى الدلالي، ولا يمكن إقامة هذين المستويين في الجملة دون تقدير ما هو محذوف وردّه إلى مكانه على ضوء ما تمّ وضعه من قواعد وقوانين. (٩٣)

وتقدير المحذوف إنّما يرجع إلى سببين كما ذكر عبد القاهر الجرجاني، أوّلهما: أنْ يمتنع حمل الكلام على ظاهره لأمر يرجع إلى غرض المتكلّم كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ إذ الغرض: واسأل أهل القرية، فليس الحذف هنا راجعاً لذات التركيب اللغوي، وذلك أنّ مثل هذه العبارة لا تحتمل الحذف لو نطق بها رجل مرّ بقرية قد خربت وباد أهلها فأراد أنْ يقول لصاحبه واعظاً مذكّراً، أو أنْ يخاطب نفسه متّعظاً ومعتبراً: سل القرية عن أهلها، على حدّ قولهم: سل الأرض من شق أنهارك، وغرس أشجارك، فلا حذف في العبارتين. والآخر: أنْ يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره ولزوم الحكم بالحذف راجعاً إلى الكلام نفسه لا إلى غرض المتكلّم، وذلك مثل أنْ يكون المحذوف أحد جزئي الجملة كالمبتدأ في نحو قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، وقوله: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ فلا بدّ من تقدير محذوف، وذلك أنّ الاسم الواحد لا يفيد،

(٩١) دلائل الإعجاز: ١٤٦
(٩٢) البرهان: ٣/ ١١٥
(٩٣) قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين: ٢٠٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والصفة والموصوف حكمها حكم الاسم الواحد، و"جميل"صفة للصبر، وفي الإجابة على السائل من هذا؟ تقول: زيدٌ، فتقدير المبتدأ المحذوف هنا واجب؛ لأنّ الاسم الواحد لا يفيد؛ لأنّ مدار الفائدة على إثبات أو نفي، وكلاهما يقتضي شيئين: مثبت ومثبت له أو منفي ومنفي عنه. "(٩٤)

واشترط النحاة للحذف وجود دليل على المحذوف، قال ابن جني: " قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته، فأمّا الجملة فنحو قولهم في القسم: والله لا فعلت، وتالله لقد فعلت. وأصله: أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل، وبقيت الحال – من الجار والجواب – دليلاً على الجملة المحذوفة. وكذلك الأفعال في الأمر والنهي والتحضيض نحو قولك: زيداً، إذا أردت: اضرب زيداً، أو نحوه، ومنه إياك، إذا حذرته؛ أي: احفظ نفسك ولا تُضِعها، والطريقَ الطريقَ، وهلاّ خيراً من ذلك .... ، وكذلك الشرط في نحو قوله: الناس مجزيون بأفعالهم إنْ خيراً فخيراً وإنْ شرّاً فشرّاً؛ أي: إنْ فعل المرء خيراً جزي خيراً، وإنْ فعل شرّاً جزي شرّاً. "(٩٥)

وذكر ابن هشام شروطاً ثمانية للحذف جعل أوّلها " وجود دليل حالي، أو مقالي، أو صناعي، ومثّل لذلك قائلاً: " الدليل الحالي كقولك لمن رفع سوطاً: زيداً بإضمار اضرب، ومنه: ﴿ قَالُواْ سَلاَماً﴾ أي سلمنا سلاماً، أو مقالي كقولك لمن قال: من ضرب؟ " زيداً "، ومنه: ﴿ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً ﴾. . . . . أو صناعي كما في قولك: " زيدٌ ضربته " وقولك: "ضربني وضربتُه زيد " (٩٦)

وقال الزركشي في البرهان: " إنّ من شروط الحذف أنْ تكون في المذكور دلالة على المحذوف إمّا من لفظه أو من سياقه، وإلا لم يُتمكن من معرفته فيصير اللفظ مُخِلاً بالفهم. "(٩٧)

وأضاف النحاة لتلك الشروط أبواباً وضّحوا فيها فوائد الحذف، وأسبابه، وأقسامه،

(٩٤) أسرار البلاغة: ٣٧٩، ٣٨٠.
(٩٥) الخصائص: ٢/ ٣٦٠.
(٩٦) المغني: ٢/ ١٢٤٢.
(٩٧) البرهان: ٣/ ١٢٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأمثلة متعدّدة على حذف الاسم، والفعل، والحرف، في كلّ أبواب النحو العربي. [٩٨]

لكن السؤال الذي أنطلق منه في بحثي هذا هو: هل للحذف أثرٌ وفائدة أخرى غير تلك التي ذكرها العلماء؟ فالزركشي قال في فوائده: "التفخيم والإعظام، وزيادة لذّة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وزيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك، وطلب الإيجاز والاختصار والتشجيع على الكلام، وموقعه في النفس من موقعه على الذكر. "[٩٩]

وأشار الخطيب القزويني إلى مثل تلك الأغراض في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة ". [١٠٠]

وتحت عنوان "الأغراض البلاغيّة للحذف" ذكرالأستاذ مصطفى أبو شادي في كتابه " الحذف البلاغي في القرآن الكريم " أحد عشر غرضاً بلاغيّاً وهي: "الأول: الاختصار، والثاني: التنبيه على أنّ الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف وأنّ الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهمّ، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾، والثالث: التفخيم والإعظام؛ والرابع: التخفيف لكثرة دورانه في الكلام كما حذف حرف النداء، والخامس: كونه لا يصلح إلا له كما في قوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، والسادس: شهرته حتّى يكون ذكره وعدمه سواء، والسابع: صيانته عن ذكره تعظيماً وتشريفاً، والثامن: صيانة اللسان عنه تحقيراً، التاسع: قصد العموم، والعاشر: رعاية الفاصلة، والحادي عشر: قصد البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ﴾ أي فلو شاء هدايتكم. "[١٠١]

وابن هشام أعرض عن تفصيل تلك الأغراض ورأى أنّها من مهامّ علماء البيان ولا تلزم علماء النحو، قال: " الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه هو ما اقتضته

---

(٩٨) طالع في ذلك المغني: ٢/ ١٢٤٢ وما بعدها، وظاهرة الحذف في الدرس اللّغوي.
(٩٩) البرهان: ٣/ ١٢٠.
(١٠٠) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢١٩.
(١٠١) الحذف البلاغي في القرآن: ١٤٩- ١٥١. وفي مثل ذلك طالع ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي " أغراض الحذف": ٨٥ وما بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصناعة، وذلك بأنْ يجد خبراً بدون مبتدأ أو بالعكس، أو شرطاً بدون جزاء أو بالعكس، أو معطوفاً بدون معطوف عليه، أو معمولاً بدون عامل،. . . . . .
. . . . ، وأمّا قولهم: يحذف الفاعل لعظمته، وحقارة المفعول، أو بالعكس أو للجهل به، أو للخوف عليه أو منه أو نحو ذلك، فإنّه تطفّل منهم على صناعة البيان. " (١٠٢)

أمّا علماء اللغة المحدثون فقد أضافوا إلى أغراض الحذف هذه أثراً واضحاً للحذف في التماسك النّصّي، وضح ذلك مع ظهور نحو النّصّ في مطلع السبعينات من القرن العشرين، ويعرّف نحو النّصّ في أبسط صور التعريفات بأنّه منهجٌ من مناهج التحليل اللّغوي، يستشرف المعنى الكلّي للنّصّ، ويحلّل الأجزاء والمكوّنات على ضوء النظرة الكلّيّة الشموليّة للنّصّ، فالمعنى يتحدّد من خلال النّصّ لا من خلال الجملة، ويمكن لمحلّل النّصّ تفسير جملةٍ ما بجملة لاحقة لها أو سابقة عليها، من منطلق القول بكلّيّة النّصّ، وقد ارتبط نحو النّصّ منذ نشأته ارتباطاً وثيقاً بتحليل الخطاب، والنظر إلى النّصّ على أنّه بنية كلّيّة لا على أنّه جمل فرعيّة، وقد تطوّر النحو بظهوره من نحو يحلّل الجملة إلى نحو يحلّل النّصّ، فيتعامل معه بوصفه جملاً وسياقات، وظروفاً وفضاءات تتعالق فيها المعاني وتترابط بما قبلها وما بعدها، فهو الأكثر اتصالاً بمجال تحليل النّصّ. (١٠٣)

فهو يهدف إلى دراسة الوظيفة الدلاليّة لبعض العناصر النحويّة وربطها بشبكة الدلالة في النّصّ. (١٠٤)

وتأتي أهمّيّة نحو النّصّ في مجال التحليل اللسانيّ من حيث احتواؤه على نظم النحو التقليدي وأدواته، فكما أنّ نحو الجملة عالج المعنى في الأمثلة والنماذج اللّغويّة والمقتطعة من نصوصها من خلال أدواته ليحقّق الربط الدلالي في الإسناد (المسند والمسند إليه) فإنّ نحو النّصّ يتجاوز ذلك بكثير، من حيث إنّه يستخدم أدوات النحو ذاتها، ويوظّفها في تحقيق الترابط بين الجمل المتتابعة في النّصّ أو الخطاب، من

(١٠٢) المغني: ٢/ ١٣٣٦.
(١٠٣) نحو النّصّ والتحليل اللغوي: ١٠.
(١٠٤) نحو النّصّ في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حيث هي عناصره ووحداته الدلاليّة الصغرى. [١٠٥]

وعليه فلقد تمثّلت وظيفة علم لغة النّصّ الأساسيّة في إظهار أوجه التماسك بين وحدات النّصّ اللّغويّة، والكشف عن علاقات الربط النحوي، والترابط الدلالي، والعلاقات الإحاليّة والإشاريّة وغيرها من العلاقات المتمثّلة في مستوى الجمل من جهة والمتجاوزة مستوى الجمل من جهة أخرى. [١٠٦]

ويقصد بالتماسك النّصّي تلك الوسائل التي تتحقّق بها خاصيّة الاستمراريّة في ظاهر النّصّ[١٠٧]، وكما قال دي بوجراند: "هو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحيّة على صورة وقائع يؤدّي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقّق بها الترابط." [١٠٨]

ولأهميّة التماسك النّصّي رأينا بعض علماء اللغة قد جعلوا عناوين كتبهم تحمل هذا المصطلح مثل كتاب هاليداي ورقية حسن "التماسك في الإنجليزية" Cohesion in English وأفرد هاشوموتو Hashumoto في كتابه Strategies For Academic Writing "استراتيجيات الكتابة الأكاديميّة" فصلاً بعنوان "صناعة التماسك النّصّي" وذكر " أنّ الهدف الأساسي للتماسك هو مساعدة القارئ على رؤية الروابط التي تستخدم بين الأفكار الرئيسة، فعدم وضوح هذه الروابط يسبّب فجوة يجب أنْ تسدّ. [١٠٩]

وهذه الأهميّة تتأتّى من أنّ " كلّ جملة تمتلك بعض أشكال التماسك عادة مع الجملة السابقة مباشرة. من جهة أخرى كلّ جملة تحتوى-على الأقلّ- على رابطة واحدة تربطها بما حدث مقدّماً، وبعض آخر من الجمل يمكن أنْ يحتوي على رابطة تربطها بما سوف يأتي. [١١٠]

وعليه فالتماسك عند علماء النّصّيّة "يعني الصلابة والوحدة والاستمرار، ويمثل

---

(١٠٥) السابق: ٩.
(١٠٦) علم لغة النّصّ المفاهيم والاتجاهات: ٨٥.
(١٠٧) نحو أجرومية للنّصّ الشعري: ١٥٤.
(١٠٨) النّصّ والخطاب والإجراء: ١٠٣.
(١٠٩) Hashumoto et Irvin Strategies For Academic Writing. pp. 96-97
(١١٠) Halliday & R. hasan "cohesion in English" p. 324

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحد المظاهر الضروريّة لضمان الطابع العلمي لأيّة نظريّة أو جسم للبحث. فالتماسك هو الذي يبرز خواص أي نظام للتفكير سواء كان نظريّة أو نصّاً، ويعني أنّ أجزاء هذا النظام لابدّ من ترابطها الحميم فيما بينها، مما يقتضي أنْ تقوم بينها روابط تمثّل شبكة لضبط العلاقات القريبة والبعيدة. وهو خاصّيّة دلاليّة للخطاب تعتمد على فهم كلّ جملة مكوّنة للنّصّ في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى. "[١١١]

وتبرز أهمّيّة التماسك أيضاً في أنّ " الكلام لا يكون مفيداً إذا كان مجتمعاً بعضه مع البعض الآخر دون ترابط. "[١١٢]

وعناصر التماسك: هي"الإحالة، الاستبدال، الحذف، الربط"[١١٣]

أمّا الحذف – موضوع البحث – فهو من أكثر عناصر التماسك النّصّي شيوعاً وهو " اعتداد بالمعنى العدمي على ما يسمونه"Zero Morpheme فالبنيات السطحيّة في النصوص غير مكتملة غالباً بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللّغة العادي، ففي قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ﴾ لا مفرّ من فهم " شهد الملائكة وشهد أولو العلم " بدليل ما في آخر الآية من قوله تعالى: ﴿ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾، ولولا هذا الفهم لجعلنا الملائكة وأولي العلم آلهة مع الله سبحانه وتعالى. "[١١٤]

وذكر هاليداي أنّ الحذف "علاقة داخل النّصّ وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النّصّ السابق، وهذا يعني أنّ الحذف عادة علاقة قبليّة. "[١١٥]

وقد ذكر كريستال أنّ الحذف هو حذف جزء من الجملة الثانية، يدلّ عليها دليل في الجملة الأولى، مثال ذلك: أين رأيت السّيّارة؟ في الشارع، فالحذف من الجملة الثانية "رأيتها".[١١٦]

والحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال إلا بكون الأوّل "استبدال

---

(١١١) بلاغة الخطاب وعلم النّصّ: ٢٦٣.
(١١٢) بناء الجملة العربيّة،: ٧٤.
(١١٣) النّصّ والخطاب والإجراء: ٣٠١.
(١١٤) النّصّ والخطاب والإجراء، مقدّمة د. تمام حسان: ٣٤.
(١١٥) ٥ -Halliday & R. hasan "cohesion in English" p. 142
(١١٦) The Cambridge Encyclopedia. p. 119 -6-D. Crystac

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالصفر" أي أنّ علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلّف أثراً، ولهذا فإنّ المستبدل يبقى مؤشّراً يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكّنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحلّ محلّ المحذوف أيّ شيء، ومن ثمّ نجد في الجملة الثانية فراغاً بنيويّاً يهتدي القاريء إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى أو النّصّ السابق. (١١٧)

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً﴾ المحذوف " أنزل ربُّنا " وفي ذلك مرجعيّة قبليّة بين مكان العنصرين المحذوفين من الجملة الثانية " أنزل ربُّنا " وبين المذكور في الجملة الأولى.

وإعمال الفكر في تقدير المحذوف وبيان مرجعيّته يؤدّي إلى التماسك النّصّي الذي يتحقّق من خلال ثلاثة أمور:

١- التكرار، وذلك بعد تقدير المحذوف.

٢- المرجعيّة بين العنصر المحذوف وبين العنصر المذكور، أي بين الجملتين، وهي إحالة قبليّة كثيراً كما في الآية القرآنيّة: ﴿ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ قالوا " أنزل ربُّنا " خيراً تكرار + مرجعيّة قبليّة وإحالة بعديّة قليلاً، ومثالُها قول قيس بن الخطيم:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

أراد نحن بما عندنا " راضون "، وأنت بما عندك راضٍ "(١١٨)

فالتماسك النّصّي تحقّق بين هذين الشطرين بعد تقدير المحذوف في الشطر الأوّل من لفظ المذكور في الشطر الثاني، فهي إذاً مرجعيّة بعديّة.

٣- وجود دليل أو قرينة تشير للعنصر المحذوف، وهي التي تنشأ مع المرجعيّة الداخليّة، ومن ثمّ يتحقّق التماسك النّصّي داخل الجمل.

(١١٧) لسانيّات النّصّ: ٢١.
(١١٨) المقتضب: ٤/ ٧٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner